

وصارَ أحجيةَ عصره

بقلم أدما حبيبي

في خضمّ الأحداث التي شهدتها أورشليم المدينة العظيمة، وأمام الجماهير المحتشدة والغاضبة، وحفاظاً على السلام المنشود في كلّ المناطق الرومانية آنذاك، سلّم الوالي بيلاطس حاكمنا الكبير، يسوع الذي يُدعى المسيح، إلى الجمع لكي يصلبوه. و على الرغم مما أملاه عليه ضميره بأنّه كان بريئاً بعد الفحص والاستقصاء الذي أجرأه عليه خلال محاكمته، إذ لم يجد فيه علّة يستحق الصلْبَ من أجلها، إلا أنّه سلّم يسوع إلى الجموع الصاخبة لكي يصلب ، خوفاً من تهديدات القادة الدينيين اليهود بإبلاغ الأمر إلى قيصر حاكم روما ورئيسها (يوحنا ١٩ : ١٢) . أسلمه إليهم بعد أن أصدر حكمه بالصلب ، وحملهم بالتالي المسؤولية على عاتقهم وعانق أولادهم من بعدهم إذ كانوا قد صرخوا بحزم وإصرار قائلين : **دمه علينا وعلى أولادنا** . أما هو فغسل يديه ظناً منه أنّه قد برأ نفسه من دم ذلك الذي وجدّه باراً.

ومنذ ذلك الحين أخذت الأحداث تتسارع. وأمرتُ أنا (قائدُ المئة) مع جنودي بحراسة يسوع الذي يُدعى المسيح، وبتنفيذ حكم الصلْب بحق المتهم. فجرّه العسكرُ إلى دار الولاية من أجل إكمال الإجراءات قبيل الصلْب. وجمعنا عليه جنودَ الكتيبة كلها. وهناك وتبعاً لأوامري المتشددة، قاموا بتجريده من ثيابه وألبسوه رداءً قرمزياً، وجدلوا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه. كما وضعوا قصباً في يده اليمنى، وراحوا يركعون أمامه ويسخرون منه ويقولون: **السلام يا ملك اليهود!!** وبصقوا عليه، وأخذوا القصبه منه، وضربوه بها على رأسه. وبعدما أوسعوه هزءاً نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه. وساقوه خارج المدينة كما هي العادة. وبينما أنا وجنودي في طريقنا إلى الموضع، إذا به يتعثّر أمام ثقل الصليب. ولمّا وقع مرات عدة، وجد الجنود رجلاً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه أن يحمل عنه الصليب. ولمّا وصلنا إلى مكانٍ يُدعى جمجمة أعطوه خمراً ممزوجاً بمرارة ليشرّب فلمّا ذاقها يسوع، رفض أن يشربها. أما ثيابه فاقترع عليها الجنود. وهناك تمّ صلْبُ يسوع المسيح ووضعت لافتة فوق رأسه تحمل تهمةً مكتوباً عليها: **هذا هو يسوع ملك اليهود**.

هذا هو ملك اليهود. هذا ما صرّح هو به سابقاً. وجلست أنا هناك فوق تل الجمجمة مع جنودي نراقب ونحرسُ بكلّ حذر وحيطة يسوع المصلوب وكذا اللصين اللذين صلّبا إلى جانبيه بحسب الأوامر التي صدرت إليّ من قبل السلطات العليا. وكان المارة يشتمونه وهم يهزؤون رؤوسهم ويقولون: **يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام. خلّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب!!** وقتنذ لم أفهم معنى كلماتهم، إذ بدت لي غامضةً غامضةً. فكيف يكون يسوع المسيح هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام؟ ثم كيف يحثونه على تخليص نفسه إن كان ابن الله؟ كل هذه الكلمات بدت لي غريبة ومبهمة. أما رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ فكانوا يسخرون منه هم أيضاً ويقولون: **خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها**. إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن

الصلب فنؤمن به. قد اتكل على الله، فليخلصه الآن إن أراد. لأنه قال أنا ابن الله. وكذا اللسان المصلوبان معه كانا يعيرانه بمثل هذا الكلام. وسمعتة يردد كلمات وجملاً أثارت أحاسيسي ومشاعري وشعرت وكأن منخاساً حاداً قد نخسني في أعماق قلبي. فها هو يغفر للذين صلبوه، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون. وهذا التصريح يعينني بالطبع أنا أيضاً. ثم فوجئت به يقول للصلب الذي بجانبه: اليوم تكون معي في الفردوس.

وبينما أنا واجم أفكر بكل ما يحدث أمام ناظري، وجنودي حولي يراقبون وكلنا نتأمل بهول هذه الأحداث المتتالية، محاولين فض سرها الغامض، حدث شيء غريب جداً. إذ غربت الشمس في منتصف النهار، وغابت خلف الأفق من غير ميعاد. وحل الظلام الدامس على الأرض كلها. فخفت وارتعبت أنا الذي لم يتسرب الخوف إلي من قبل وكذا دُعر الجنود معي. ومضى على هذه الحال ثلاث ساعات كاملة. ونحو نهاية الساعة الثالثة، صرخ يسوع بصوت عظيم: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فظن الواقفون معي أنه ينادي إيليا. فركض واحد منهم وأخذ اسفنجة غمسها في الخل، وثبتها على قسبة وقدم إليه ليشرب. ولكن الباقيين قالوا: اترك. لنرى هل يأتي إيليا يخلصه؟ فصرخ يسوع مرة أخرى وعندها أسلم الروح.

وما لبثت أن سمعت وأترابي دويًا قوياً من جراء زلزال عنيف جداً، تشققت معه الصخور وتفتحت بسببه القبور، وقام الموتى الذين فيها. عندها، سقطت أنا على وجهي إلى الأرض، ووجدت نفسي آخر أمام الصليب ساجداً للمصلوب يسوع، وشرعت أصيح وبأعلى صوتي مجدداً لك يا الله، مجدداً لك. حقاً كان هذا ابن الله... كان هذا الإنسان باراً. وأدركت ساعتئذ مع جنودي المئة أن يسوع هذا الذي نفذت فيه حكم الصلب القاسي، هو بار بالفعل، وهو ابن الله الكلي القدرة والقوة إذ صاحبت موته هذا أحداثاً جساماً ومعجزات عظام لم تحصل من قبل، ولا في أي أن.

وجاء فيما بعد يوسف الذي من الرامة وطلب من بيلاطس جسد يسوع. وبعد أن تحقق من موته، أمرني بيلاطس بتسليم الجسد ليوسف، ففعلت. فأخذ بكل إجلال واحترام ولفه بكتان ووضع في قبر جديد كان قد نحته في الصخر. أما القادة اليهود فلقد دبّ الذعر والحيرة في آن واحد في قلوبهم إزاء موت يسوع. لأنهم تذكروا بأنه قال وهو حي بأنه بعد ثلاثة أيام سيقوم. فهرعوا إلى بيلاطس من جديد يطلبون منه حراسة القبر لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه. فأصدر بيلاطس أمراً بحراسة القبر بواسطة الحراس إلى اليوم الثالث. وتم ختم القبر بشد حبل فوق الحجر الذي دُحرج على بابه.

لكن ما أن أتى فجر اليوم الثالث، حتى حصلت زلزلة أعظم من سابقتها حين أسلم يسوع الروح. وملاك من السماء نزل ودحرج الحجر وجلس عليه. ولما رآه الجنود الذين كانوا يحرسون القبر أصابهم الهلع وارتموا أرضاً كأنهم أموات. وإذا كانت النسوة آتيات إلى القبر لكي يحنطن الجسد كما جرت العادة عند اليهود، وجدن الحجر مدحرجاً. فطمأنهن الملاك وأعلمهن بأن يسوع المسيح المصلوب قد قام من الأموات كما قال. وأمرهن بالذهاب مسرعات لكي يخبرن التلاميذ. وفيما هما منطلقتان لتخبيرا تلاميذه إذا



خدمة الإذاعة العربية

يسوع لاقاهما. وقال: سلام لكما.. فتقدمتا وأمسكتنا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع: لا تخافا. اذهبا قولوا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني. (متى ٢٨)

نعم، لقد أحدثت القيامة ضجةً أكبر بكثير من تلك الضجة التي حصلت عند صلبه ومن ثم موته. وتسارع خبرُ القيامة لينتشر بين التلاميذ بأنَّ يسوع حي. وفي نفس الوقت ولما هرع الحراس إلى رؤساء اليهود ليخبروهم بما جرى، رشوهم بالمال وقالوا لهم: قولوا إنَّ تلاميذه قد أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين. (متى ٢٨) وهذا ما فعله الجنود بالضبط. وانتشرت الإشاعة منذ ذلك الحين بأن تلاميذ يسوع قد سرقوا جسده حتى هذا اليوم.

لقد أدركتُ أنا قائد المئة الروماني بأنَّ يسوع هذا الذي صُلب أمام ناظري، قد كان باراً بالحق وأمنتُ أنه ابنُ الله العلي القدير. فهل من الصعب عليه أن يقوم كما قال؟ حقاً كان هذا الإنسانُ باراً وهو ابن الله المقام من بين الأموات تماماً كما قال هو وكما تتبأ عنه في القديم. ندمتُ فعلاً على ما اشتريت به من أعمال مشينة عند الصليب، والآن أنا أعترف أنني كنت بالحق أعمى لا أرى، لكنه هو الذي نزع القشور عن عيني وأثار بصيرتي فصرت أرى بعين إيماني أنه هو ابن الله المقام. فهل تصدق وتؤمن بالمسيح المقام؟ أم أنك لازلت تؤخذ بالإشاعات التي نشرها وينشرها الكثيرون حتى يومنا هذا؟ أم تراه يبقى أحجيةً تودُّ فكَّ طلاسماها؟

قائد المئة الروماني